

عنوان الكتاب : الرواد الجزء الثاني من كتاب أعلام المقتطف

المؤلف : فؤاد صروف

سنة النشر : ١٩٢٧

رقم العهدة : ٥٢٣

الـ ACC : ٢٩٧٥٥

عدد الصفحات : ٣١٦

رقم الفيالم : ١٠

# الرواد

وهو الجزء الثاني من كتاب

الإسلام المكتظف

A. C / 29700  
C. 1 / 100

ويشتمل على أكثر ما نشر في مجلدات المكتظف السابقة عن تقدم  
علم الجغرافيا وتخطيط البلدان وكشف الجاهل وارتداد  
القطبين وتمهيد سبل المواصلات في البر  
والبحر والهواء وسير أشهر الرواد.  
فيه فصل حافل خاص

بجغرافي الاسلام

A. C / 29700

281 004

100 / 1900

طبع بمطبعة المكتظف القطري بدمشق

سنة ١٩٢٧

## اين يذهب الرواد؟

من غرائب طبع الانسان حبه للاكتشاف . فيضرب في مجاهل الأرض ويركب متون البحار ويمتطي أجنحة الرياح ويتجشم أعظم المشاق ويصبر على أنواع المكاره من قيظ وزمهرير وسغب ولغب، لكي يكتشف بلاداً جديدة أو يختط طريقاً لم تطأه قدم انسان من قبل . ولقد كان هذا دأبه من قديم الزمان . أما حينئذ فكان مدفوعاً بطلب الرزق وانتجاع المراعي والمناهل . وأما الآن فيندفع اليه بالملكة التي تملكته أسلافه قروناً كثيرة وحباً بالمنافسة والفوز على الأقران . ولولا ذلك ما عمرت الأرض بالسكان ولا انتشر فيها نوع الانسان . ومن هذا القبيل السعي الى اكتشاف القطبين وارتداد المناطق المتجمدة حولهما أو الاهتمام باجتياز البحار والقارات بطائرات تسابق النسور في الهواء ، ففي كل ذلك لا يجد الرواد باباً للكسب ولا سبيلاً للرزق . لذلك تحيط بأسمائهم هالة من المجد لا يفوز بها كثيرون من العلماء لأن ائدائهم على اقتحام المخاطر وصبرهم وشجاعتهم في مجالدة الشدائد التي تعرض لهم تضرب على وتر حساس في النفس فينظر اليهم الناس نظرة الاعجاب والاكبار ويضمونهم في مرتبة بين الآلهة والناس

انقضى سبع وعشرون سنة منذ ارتفع الستار عن ميدان الارتياح في القرن العشرين، بلغ فيها الرواد الى أقاصي الأرض وساروا في مناكبها العامرة والغامرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، هنا يرودون صحراء قاحلة، وهناك يصعدون في قنّة جبل شاهق، وهناك يفتحون مغازات من الجليد، أو أدغالاً تعجّ بالحيوانات الضارية والأفاعي السامة. لم يبق أمامهم سوى أعلى طبقات الجوّ وأعمق أغوار البحار، وهذه قد أخذت تذلل أمام اقدام الطيارين والغواصين، وابداع العلماء وما ابتكروه من غرائب المعدات والأدوات للبحث والاكتشاف.

أبسط أمامك خريطة الأرض ترّ في قلب آسيا وأفريقية وأميركا الجنوبية طرقاً معبدة تسير فيها سكك الحديد أو سيارات فورد أو تطير فوقها الطائرات والبلونات، وفي صدور الجبال انفاقاً تخترقها وعلى سطوح البحار مسالك الممالك الى الثروة والسلطان

أين المدن التي لم تفتح أبوابها للعلماء والرواد؟ أين الجزائر التي لم تعين مواقعها وترسم خططها؟ أين الصحاري التي عجزت عن اختراقها قوافل الجمال ولم تخترقها قوافل السيارات؟ أي نهر من الأنهر العظيمة لم يعين منبعه أو لم يعرف مسيله ومصبه وما يدور حوله من الحقائق الجغرافية والعمرانية؟ ان قنّ الجبال الشاهقة التي ردت عنها كبار المصمدين بالأمس لا بدّ أن تلين للطيارة والبلون في الغد، وقلب جزيرة غينيا الجديدة - أكبر الجزائر بعد قارة استراليا - الذي ما برح معتصماً بأسراره قد أخذ يفقد ما يحيط به من الاسرار امام اقدام الرواد والباحثين. فقد جاء في الأنباء الأخيرة

أن الأميركيين لهم بعثات علمية مختلفة تخترق ادغال غينيا الجديدة وترود مجاهلها

وهكذا نرى أن الستار أخذ ينسدل رويداً رويداً على رواية أخاذة أحكمت وضعها العصور وما زالت منذ فجر التاريخ متصلة المشاهد متسلسلة الحلقات. ان العالم القديم الذي كان معروفاً للفينيقيين واليونانيين والرومانيين، اتسع في القرون الخمسة الأخيرة اتساعاً عظيماً حتى شمل الكرة الأرضية بأسرها. لقد مهدت السبل، وعيّنت المواقع، وضبطت الحدود، وقيست المرتفعات والمنخفضات ورسمت الخرائط وكان للختراعات الحديثة في ذلك الفضل الأعظم فأكمل الرواد على متن البواخر والسيارات والطائرات عملاً بدأه أسلافهم سيراً على الأقدام أو ركوباً على الجمال أو سفراً في السفن الشراعية تتلقفها الأمواج وتتقاذفها الرياح

وأغرب ما في هذا التقدم سرعه. ففي العقدين الثامن والتاسع من القرن الماضي كان لفرنستون وغيره من الرواد الانكيز وغير الانكيز قد كشفوا كثيراً من مجاهل القارة السوداء. على ان العلماء في مطلع القرن العشرين وجدوا رغم ذلك. أميركا الجنوبية مجهلاً كبيراً، وقلب آسيا معقلاً تحيط به الأسرار والصحراء الافريقية الكبرى والسودان تعطيها بقاع لم تطأها قدم انسان، وكثيراً من جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي تقطاً ترصع سطح اليم تعرف أسماؤها وتجهل مسمياتها، وبلاد تيببت منيمة على المرتادين وعاصمتها لاساً حرماً عليهم، والجو ملكاً للنسور لا يطمع الانسان في مزاحمتها عليه

ولكن ما ذا نرى الآن وقد انقضت سبع وعشرون سنة على ذلك؟  
 ها جنود الانكليز يقودهم الكولونيل يُنغ هز بند بنفسه يكتسحون (سنة ١٩٠٤)  
 تيبِت ويدخلون عاصمتها المقدسة . وها سيارات الفرنسيين  
 تخترق الصحراء الكبرى حيث تعذر على قوافل الجمال أن تسير من قبل .  
 وها بعثات الاميركيين بقيادة روزفلت آناً تزود مجاهل البرازيل وتكتشف  
 أكبر نواصر الأمازون أو بقيادة الدكتور اندروز آناً آخر تخترق منغوليا  
 تبحث عن آثار الانسان فتعثر على بيوض الدينوسورس المتحجرة التي يرجع  
 عهدا الى عشرة ملايين من السنين . وها الحلم بالانشاء خط حديدي من  
 القاهرة الى الكاب أخذ يتحقق رويداً رويداً، بل قد يسبقه ويفوقه شيئاً  
 انشاء خط جوي بين المدينتين . انك ترى الناس في الربع الأول من القرن  
 العشرين وقد اعترتهم سورة المغامرة وحب الاكتشاف . فالسباق شديد  
 الى اكتشاف القطبين . يبيري يحاول الوصول الى القطب الشمالي يزاحمه  
 نسن وكوك وزس . وأمندسن يسير الى القطب الجنوبي لا يقف الجليد  
 في وجهه ، ويسابقه اليه سكوت وشاكلتن . ثم هذا امندسن أيضاً بعد  
 فترة الحرب العظمى يطير أولاً بالطيارة محاولاً بلوغ القطب الشمالي فيقصر  
 عنه على نحو ١٣٦ ميلاً جغرافياً منه ثم يفوز بالطيران فوفاً بالبلون في السنة  
 التالية وبين محاولته الأولى وفوزه يطير الكومندر برد الاميركي من  
 سبتسبرجن الى القطب الشمالي ذهاباً واياباً في ١٦ ساعة  
 لقد أخضعت عناصر الهواء، فغلب النسر على دولته وصار فن الطيران  
 بآلة أثقل من الهواء، الذي ولد في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٣، من وسائل المواصلات

التي ينتظر أن تعم العالم بأسره . ان فعال الطيارين في اجتياز المسافات الشاسعة  
 ونقل البريد والركاب والبحث في طبقات الجو العالية ومسح الأراضي  
 ومحاربة الحشرات نزع من الجو أسراره وجعلت سبيله ممهدة لمطالب  
 الانسان . واقد كثرت بعثات الارتياح وتعددت غاياتها وأساليبها حتى  
 أصبحت أخبار أكثرها عادية مهما عظمت المكتشفات التي تكتشفها  
 وصار يتحتم على زعمائها أن يرضوا بالأعجاب الضئيلة التي تكون نصيب  
 التابعين السائرين في أثر من تقدم من الرواد

\* \*

كذلك انقضت الأعوام والقرون منذ فجر التاريخ إلى الآن ، والرواد  
 يسرون بعضهم في إثر بعض يمتقرون المساق وينتصرون على العواصف ،  
 يفشلون آناً وينتصرون آونة ، فعنت لهم الأرض وآتهم خيراتها . إن  
 صفحاتهم لمن أنصع الصفحات في تاريخ العمران ، بل ان حديث أقدامهم  
 وثباتهم ونبلمهم وتفانيهم قصيدة بليغة محكمة الأبيات تشير في النفس تلك  
 النزعات العالية التي بها يتمجد الأ نسان . وأتانا لا تتردد مطلقاً في الحكم  
 بأن مقامهم في ترقية العمران يأتي بعد مقام العلماء والفلاسفة والمستنبتين بل  
 قد يكونون واياهم في مستوى واحد  
 لذلك أفردنا لهم هذا الكتاب ، فحسى أن يلقي ما لقيه سابقه «أعلام  
 المقتطف» من الوقع الحسن لدى مشتركى المقتطف ومريديه .

فؤاد صروف

القاهرة ٢٢ يوليو ١٩٢٧

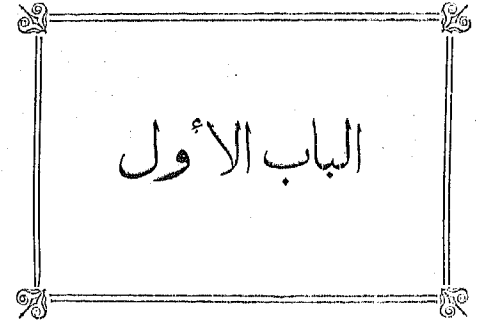
تاريخ علم الجغرافيا<sup>(١)</sup>

ان لساني قاصر عن الاعراب عن سروري الفائق بهذه الزيارة الاولى لمهد المدينة القديمة الاولى حيث تحول الناس في فجر العالم الى تعهد العلوم والآداب والفنون  
ألا يسمح لي في هذا المقام بان اشير الى نفسي اني رجل قدم من العالم الغربي البعيد الذي قد يكون الالانتس<sup>(٢)</sup> المذكور في خرافات الاقدمين ويقال ان كاهناً قديماً من كهنة بلادكم روى قصته رواية مشوقة فرآها افلاطون جديرة بالاعادة والتكرار . ثم هل لي ان اقول فوق ذلك اننا عميل في لغة الشعر الى وصف ذلك العالم الغربي بحديقة هسبريديس<sup>(٣)</sup> التي تعني بها هزيوود<sup>(٤)</sup> ولو ان كثيراً من الاوصاف التي ذكرها لا تنطبق عليها

اني احمل تحية ذلك العالم الغربي الى هذه الحفلة ، حفلة افتتاح المؤتمر الدولي العظيم ، الذي شتموه جلالتم مجودكم والذي قدمتم فيه جلالتم برهاناً على اهتمامكم بارتقاء العلوم والفنون . ويلوح لي ان خير كلمة استطيع التفوه بها في حفلة الافتتاح هذه ، هي كلمة تتناول تاريخ علمنا منذ بدايته الاولى الى ان بلغ المكان الرفيع الذي يشغله الآن بين سائر العلوم

اظن اني لا اخطئ اذا قلت ان الجغرافيا علم من اقدم العلوم ولا اغالي في تقدير هذا العلم اذا قلت انه شامل متصل بجميع العلوم الاخرى . ومن رأي استرابون<sup>(٥)</sup> ان الجغرافيين اوفر الناس حكمة وانهم كلهم فلاسفة . وقد نشر بياناً في مقدمة كتابه العظيم باسماء الرجال الممتازين وقال انهم كلهم فلاسفة وانهم كلهم جغرافيون

(١) هذا الفصل هو ترجمة الخطبة المتممة التي تلاها الاستاذ ادورد ستيفنسون الاميركي في حفلة افتتاح المؤتمر الجغرافي الدولي الذي التأم في القاهرة في ابريل ١٩٢٥  
(٢) الالانتس جزيرة ذكرها افلاطون وقال انها الى غرب المضيق المعروف الآن ببوغاز جبل طارق (٣) هسبريديس في المثلوجية اليونانية الحدائق التي تحميها حفيدات هسبرس اخي اطلس والتي قصدها هرقل للحصول على اثمارها (٤) شاعر يوناني قديم يظن انه عاش في القرن الثامن قبل المسيح ويبدو هو هيريس بنحو قرن (٥) مؤرخ وعالم جغرافي يوناني وولد حوالي سنة ٦٣ ق . م



ان الصعوبة التي تعترض الباحث حين يجتهد ان يراجع ارتقاء علم الجغرافيا منذ نشأته هي في محاولة جمع تاريخ يعتمد عليه من اساطير لم تثبت حقيقتها

ولما كنا على جانب كبير من التأكد ان عقل الانسان ارتقى ارتقاء بطيئاً وان الانسان ناضل نضالاً شديداً طويلاً ضد اعداء اقوياء ولم يتغلب على القوى التي تكتنفه الا تدريجياً ، اقول لما كنا نعلم ذلك كله فاننا لا نجد حيلة غير الاندفاع وراء التخمين والظن اذا اردنا الوقوف على آرائه في شأن البلدان الواسعة التي كانت تحيط بالبقعة الضيقة التي كان يقطنها. ثم نسأل دون ان نفوز بجواب هل كانت معرفته الجغرافية مقتصرة فقط على البقعة التي يتجول فيها وهل كان يعرف شيئاً عن وجود بقاع اوسع تمتد الى جميع الجهات ؟ ليس لدينا سوى جواب مبني على الزعم والتخمين فيما يتعلق بالآراء التي ارتآها حينها وقعت عيناه لأول مرة على البحر الواسع ورآه يمتد امامه الى مسافات شاسعة حتى خيل اليه انه يلتقي بالسما

وانقضت قرون على ذلك العهد المظلم قبل ان نجد اول دليل على محاولة وصف الارض او وصف جزء منها . وقد وجدت في كثير من البيانات الجغرافية العتيقة التي وصلت الينا آراء وافكاراً لم تبين على مشاهدة او امتحان لاحد المعاصرين بل تضمنت معلومات استقيت من مصادر عريقة في القدم يجب ان توضع اصولها وتوارثها بين الامور التخمينية . وهذا يقودنا الى اصول الاعتقاد الهندي بان الارض قائمة على ظهر سائحفة او فيل ضخمة والى رأي البراهمة ان الارض زهرة من ازهار النيلوفر المتفتحة طافية على سطح المياه والى رأي المصريين القدماء بان السماء قبة واسعة مرتكزة على الجبال

ثم جاء اليونان فوضعوا علماً لوصف الكون مبنياً على التخيل مثل الشعوب التي سبقتهم وانتقل معظم آرائهم هذه الى الشعوب التي خلفتهم في نشر لواء الحضارة فذكروا حتى في العصور الاولى الشرق بانه بلاد الغنى والثروة الواسعة والشمال بانه مهد سكان الشمال السعداء والجنوب بانه مسكن الاحباش المسلمين والغرب بانه مهد ما يأخذ اللب من الخيال والحرافات . ففيه كانت الجزائر الطافية وجزائر السعادة وجزائر المباركين ومركز جميع مجاري الاوقيانوسات حيث قطنت في الازمنة الغابرة امة غنية منيعة

الجانب وفيه ايضاً حقول اليزيا <sup>(١)</sup> مسكن الابطال الذين ينجون من مخاب الموت حيث الحياة خالية من الهموم والمتاعب . وهكذا رى للغرب في تصورات العصور الاولى شأناً جغرافياً خاصاً

ومع ان كثيراً من المذاهب القديمة تبدو وهمية فانها تبين بداية الاهتمام بالمظاهر الجغرافية . وقد ارتقى علم الجغرافيا من هذه الاصول الضئيلة الى ان وصل الى مقامه الحالي الرفيع . ولا بد ان تكون اكثر المذاهب الجغرافية امعاناً في الوهم كالقول بالجزائر وراء اعمدة هرقل قائماً على شيء من معرفة الاراضي غرب الاتلنتيكي وقد بقي كثير منها مشهوراً في القرون التالية فآثر في الآراء الجغرافية حتى بعد ان كشف كولومبوس اميركا

كان الافق في نظر الشعوب القديمة ضيقاً كما اشرت الى ذلك قبلاً لا يتعدي المنطقة التي يعيشون فيها فكان من الجرأة العظيمة اختراق هذا الافق والدخول في المنطقة الواقعة وراءه وارتياها وليس لدينا الا ن سوى حقائق ضئيلة عن الاعمال التي قام بها الناس قديماً للوصول الى تلك الغاية ولكن نقل من ذلك العهد الى العصور التالية اقصيص عن رحلات واسفار وسعت معارف الشعوب عن وجود بلدان اخرى في انحاء الارض البعيدة . وقد تكون حكاية الارغو تين <sup>(٢)</sup> حكاية بعثة بحرية حقيقية على جانب كبير من الاهمية بحيث جعلت لها علاقة بحياة الابطال وانصاف الالهة . اما قصة عولس <sup>(٣)</sup> ورحلاته فانها تذهب بنا الى جزيرة فاروس عند مدخل مرفأ الاسكندرية وتشير الى مصر والنيل وشعوب الجنوب وآكلي اللواتس . على ان هذه القصة ليست قصة رحلة فقط بل هي بيان المعارف الجغرافية في ذلك العصر بعد ان جمعت بالسفر والارتحال

وللفينيقيين مقام كبير في توسيع المعارف الجغرافية . فقد استولوا في القدم على

(١) حقول اليزيا في المثلوية اليونانية مقام الابطال المباركين يد الموت وصفها هوامرس بانها عند طرف الارض الغربي قرب الاوقيانوس وقال هزويود وبندار الشاعران انها في جزائر السعادة . ومن هذه الحرافات نشأت خرافة الاتلنتس التي ذكرت آنفاً

(٢) الارغو تين هم الابطال الذين سافروا مع ياسون في السفينة ارغو حينها ذهب يبحث عن السليخ الذهبي (٣) عولس احد ابطال اليونان الذي حارب في حروب طرواده وبعد هذه الحروب حاول الرجوع الى بلاده فحملته الرياح الى شواطئ افرقية

التجارة التي كانت بين المصريين في وادي النيل والبابليين في ما بين النهرين . وهم الذين ضربوا في البحر غرباً في اواخر أيام قرطاجنة فاجتازوا بوغاز جبل طارق ووصلوا الى جزائر الفنار ثم خاضوا عباب الاوقيانوس الاثنتيكي الى الشمال فخطوا رحلهم في جزائر سكلي<sup>(١)</sup> ومقاطعة كورنول في بريطانيا . وقد يكونون طافوا بجزراً حول افريقية قبل ان فعل ذلك فاسكو دي غاما بالفي سنة . وانشأوا مستعمرات تجارية بعيدة عن وطنهم الاصيل فنشأ فيها اهم المراكز التجارية التي ترصع شواطئ بحر الروم كما تشهد بذلك اسما هذه المستعمرات . ثم تقدمت المعارف الجغرافية حينما شرع اليونان ينشئون مستعمراتهم على شواطئ البحر الاسود ( اليوكسن ) وبحر الروم . فانشاء هذه المستعمرات وسع المعارف الجغرافية توسيعاً سريعاً مطرداً فبعث على البحث عن احوال تلك البلدان ووصف طبيعتها فنجم عن ذلك ما حمل العلماء على التسكهن في الاجابة عن المسائل الجغرافية الكبرى كالتي تتعلق بتكون الارض وتركيبها وما من احد كان اقوى اثرأ في الحث على هذه الابحاث من بيثياس المسالي او المرسيلى<sup>(٢)</sup>

ان البيان الذي يشمل اسماء الذين قاموا بخدمات جليلة للجغرافيا بيان طويل حتى ولو اقتصرنا على ذكر علماء العصور القديمة . فيه تجد امثال هكتاتوس وهرخوس وفيثاغوروس واراتوسيشينيس الاسكندردي العظيم . كل هؤلاء افادوا هذا العلم فائدة خالدة

ثم كيف انسي في هذا المقام اسم هيرودوتوس العظيم الذي يعد تاريخه خزنة غرائب في التاريخ والجغرافيا . ومما يجب ان يذكر هنا اننا نرجع في هذه الايام الى مؤلفات هيرودوتوس للوقوف على معلومات قديمة تتعلق بقلب القارة التي تعيشون عليها . ولعمري لم يبق لدينا شك في روايات فرعون نحو وستاسبس وهانو وكيف ان الأول سير سفينته في القنال الذي كان يمتد من النيل الى الخليج العربي ومن ثم الى الجنوب وكيف أمر بحارتها بمواصلة السير الى الجنوب والعودة من خلال عمدة هرقل الى مصر . والسبب الذي ذكره هيرودوتوس للأرتياب في صحة أخبار هذه

(١) جزائر سكلي ارخيل انكازي صغير على ٢٥ ميلا الى الغرب الجنوبي من طرف كورنول بانكاترا (٢) ملاح وجغرافي يوناني منه عرف اليونان وصف غرب اوربا والجزائر البريطانية . والراجح انه كان معاصراً للاسكندر ذي القرنين

الرحلة اقوى الأدلة التي تؤيدها — وهو ان الشمس صارت على يمين البمشة حينما كانت تدور حول ليبيا في الجنوب . ومن الريب ان ما ذكره عن افريقية وجد بعد الابحاث الحديثة غاية في الدقة

وليس من رأي جغرافي بين آراء اليونان القديمة الناضجة أبعد اثرأ في نشر المعلومات الجغرافية وتوسيعها في القرون التالية مثل الرأي الخاص بشكل الأرض القائل انها قرص مستدير يجري حولها محيط هو منبع جميع المياه والانهار والعيون والبحار وأنه يوجد بلا ريب شعوب تقطن وراء هذا المحيط . ثم تعددت الآراء خلال القرون التالية عن هؤلاء الشعوب وهل يمكن زيارتهم وهل هم مثل الشعوب التي تسكن البلدان المعروفة

والقول بكروية الأرض اولا كان يستلزم القول بوجود اناس في الجهة المقابلة من الكرة . فاتباع فيثاغورس قالوا ان الأرض يجب ان تكون كرة لان الكرة ام الأشكال الهندسية وانها يجب ان تكون ساكنة لان السكون ا كبر مهابة من الحركة وانها يجب ان تكون في مركز الكون لان ذلك هو مركز الشرف الممتاز . وبعد ان أعلن هذا الرأي القائل بكروية الأرض لم يهمل مع انه انقضت قرون كثيرة قبل ان تثبت صحته برحلة القبطان مجلان المشهورة

ولم يكتف الرومان بنقل المعارف الجغرافية التي اتصلت بهم من اسلافهم بل وسعوها كثيراً بما كشفوه من الحقائق الجديدة حين انهماكهم بالحروب والفتوحات وانشاء المستعمرات وتوسيع نطاق التجارة . فكتاب الرومان كانوا بارعين في رواية اخبار الاسفار والرحلات ووصف البلدان النائية عن ايطاليا وتلخيص ما كان معروفاً عن سطح الأرض في الأيام السابقة لاياهم

وأن نجد في تاريخ علم الجغرافيا كله من افاد هذا العلم أكثر من كلود يوس بطلميوس الاسكندردي؛ لقد مرت في طريقي الى القاهرة بالمدينة التي شاهدت أعماله في تلك الأيام السالفة ولا أريد ان اغادر هذه البلاد قبل ان ابذل شيئاً من الجهد لأعرف هل كان بطلميوس يقرن ابحاثه في العلوم الجغرافية بحرايط كالتي اعتدنا ان ننسبها اليه ؟ على اننا ندخل هنا مجالاً فيه كثير من الجدل ولذا لا أريد متابعة هذا البحث الآن



وصل التجار في أيام الامبراطورية الرومانية الى اقصى انحاء العالم المعروف في الشرق والغرب فقد كانت جزائر كيناريا معروفة لديهم يكثرون التردد عليها ولكن هذه الجزائر جهل موقعها بعد سقوط الامبراطورية ثم كشفت ثانية في القرون الوسطى . وعرفوا أيضاً بلاد الهند والشرق الأقصى وجمعوا حقائق كثيرة عن ثروة تلك البلدان الطائفة . وكان اهتمام رومية بالجغرافيا عملياً تؤيد هذه الحقيقة خرائطهم ولا سيما الخاص منها بالطرق . واذا تركنا النظر في الجغرافيا القديمة فاننا نترك عهداً كان هذا الموضوع يلاقي فيه اهتماماً علمياً حقيقياً وندخل في عهد مدهش باساليه البعده عن العلم وفروضه السقيمة وما يترتب عليها من النتائج المغلوطة ، ففي العهد الأول من القرون الوسطى المسيحية كان الاهتمام بالجغرافيا من اجل الجغرافيا نفسها قليلاً لان الروح الديني كان مسيطراً على الغرب فلم يبد من التريين اهتمام بالجغرافيا الا اذا رأوا فيها وسيلة الى غاية دينية . وانك كتابات الكتاب الذين جعلوا همهم تنوير معاصريهم في ذلك الزمن تحوي بعض الآراء القديمة في الارض وما عليها كما يظهر من الخرائط التي وصلت الينا من ذلك العهد . فانك تجد بلينيوس واسترابون يذكران في روايات سولينوس او ان مقامهما الرفيع يعود الى ما ذكره عنهم في قصصه .

اما قزما انديكو بلنيس فوجد كتب العبرانيين الدينية مصدراً كافيّاً لكل المعارف الجغرافية التي يحتاج الناس اليها وحين مطالعة كتابه « التوغرافيا المسيحية » نجده يذكر المذاهب الجغرافية التي سبقت مذاهب العبرانيين ثم يبين ما فيها من الخطأ

ومعظم الكتاب في هذا العهد الذين يعرفون بآباء الكنيسة لم يكونوا يهتمون كثيراً بجمع معارف دقيقة عن سطح الارض . وسلطتهم في الامور الدينية التي لم يجرؤ احد على مقاومتها جعلت لآرائهم الجغرافية مقاماً خاصاً فسار علم الجغرافيا في مجازيقة وثبتت عزيمة كل باحث كانت غايته جمع الحقائق العملية عن البلدان القريبة والبعيدة

كذلك نحن مدينون بكثير من معارفنا الجغرافية للحجاج والمرسلين والتجار مع ان معظم الحقائق التي جمعوها كانت ثانوية في اعتبارهم

وبينا كانت المسيحية قائمة باستقاء معلوماتها الجغرافية من موارد منحلة ، كانت

الشعوب العربية تنمي معارفها وتنشر معلوماتها الجغرافية والفلكية وكان العرب يعملون الى درجة ما طبقاً للقواعد اليونانية ولكنهم شيدوا على هذه القواعد صرحاً بمباحثهم المستقل الخاص بهم

وقد وضع ابو الحسن علي المعروف بالمسعودي الذي سافر اسفاراً كثيرة في اواسط القرن العاشر ، مؤلفاً سماه : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » روى فيه كثيراً مما يدل على ان شجبه كان شديد الاهتمام بالتجارة والاسفار البعيدة والارتداد واستقاء المعلومات التي اخذها الخلف عن السلف . وتمسك الادريسي ، احد مواطنيه ، براء اليونان الصحيحة ، ومنها الاعتقاد بكونية الارض ولو انه ارتاب في وجود منطقة آهلة بالسكان في الجنوب لانه كان يعتقد بوجود بحر الظلمات ، وان كل سعي للوقوف على اسراره مقضي عليه بالفشل

وكان العرب يعرفون البحار الهندية ويسافرون فيها لانها كانت طريقهم التجاري المطروق ، كما كانوا يعرفون شواطئ افريقية الشرقية والغربية جنوبي خط الاستواء . وقد دون المستر ده لارنسييه هذه الحقيقة في مؤلفاته الحديثة ولكن ما نعرفه عن ثقة يستدل منه ان العرب لم يتوغلوا في الاتلاتيكي للبحث عن ارض وراء فلم يظهروا في ذلك شجاعة رجال الشمال ولا جسارة الطليان الاول

وجني العالم الاوربي فوائد كبيرة في علم الجغرافيا من هجرة الشعوب السكندناوية في القرن الحادي عشر . على ان هذه الفوائد الكبيرة الدائمة لم تجن لان الشعوب السكندناوية كانوا رواداً من الطبقة الاولى اجتازوا البحر الى جزيرة جرينلندا وما وراءها ولا لانهم داروا حول الرأس الشمالي وارتادوا ثنايا البحر الابيض وفتحوا كثيراً من البلدان في الشمال الشرقي من اوربا بل لانهم هاجروا الى بلدان مختلفة وانشأوا فيها مستعمرات كثيرة فاليهم يعود الفخر في تجديد الدم الاوربي وأحياء النشاط الاوربي من جديد فبعثوا في الشعوب المسيحية شيئاً من العزم الذي يحركهم فبدأت ثانية في توسيع المعارف الجغرافية التي كانت قد أهملت بعد انحطاط الامبراطورية الرومانية

هذه كانت مهمة اهل الشمال المعروفين « بالنورس » او « الفيكينغ » اما الادوار

الشمالية من النهضة الاوربية فقد واصل رجالها العمل الذي بدأه سكان الشمال وتعهدهوه  
بالعناية الى التمام

وحين انتهى عهد الحروب الصليبية التي ساعدت على توسيع المعارف الجغرافية،  
ورحل فيه الاوربيون لاسباب دينية فقطنوا في بلاد مخالفيهم في الدين لاسباب  
تجارية — اقول في السنوات الختامية لهذا العصر نقرأ عن الاعمال المهمة التي قام بها  
بعض الايطاليين مثل كاريني وروبره كي ومارينيولو الذين عرفوا كيف يدونون في  
اخبار اسفارهم اموراً ذات شأن جغرافي كما دونوا اموراً ذات شأن ديني . ومع علو  
كعبهم في تاريخ الجغرافيا ليست لهم المكانة الرفيعة التي لاسرة بولو البندقية . فللكتاب  
الذي وضعه ماركو بولو مقام رفيع بين الاسفار الجغرافية في القرون الوسطى ، فهو  
قصة جديدة لرحلة من الغرب اجتاز فيها الممالك القديمة ووصف بدقة نادرة ما يشاهده  
المسافر من ايطاليا الى ما بين النهرين وبلاد فارس ومرتفعات اسيا الوسطى وصحراء  
غوبي ومرج منغوليا الى الصين والبحر الاصفر . انها قصة شائعة نادرة ومن الصعب  
ان يقاس ما كان لها من الاثر في الغرب . انها تمثل أعلى مستوى بلغه كتاب العصور  
الوسطى في رواية اخبار الرحلات . وما تم بعد ذلك من توسع اوربا تم معظمه عن  
طريق البحر

لم تكن اوربا فائدة من البعثات التي ارسلها سكان الشمال الى مياه الاتلنتيكي لان  
وجهة اوربا كانت الى الشرق فلم تتم الخطوة الكبرى التالية في سبيل التوسع الجغرافي  
العلمي الا عند ما تحول بحارة البلاد الواقعة في شمال البحر المتوسط الى التجارة والنقل  
البحري مهمة ونشاط، فلم يلبث بحارة المدن الايطالية ان استولوا على زمام الملاحة  
في البحر المتوسط ورسموا طرق البحار بمهارة غريبة ، وانسلوا من بوغاز جبل طارق،  
وجابوا شاطئ الاتلنتيكي شمالاً وجنوباً بجرأة عظيمة ، وصاروا يزدادون اقداًماً  
ومخاطرة عاماً بعد عام ، ويشنون روح العمل والارتياح في نفوس الامة التي تقطن  
الطرف الاقصى من اوربا الغربية واعنى بها امة البرتغال التي شاعت الاقدار ان تصير  
بفضل ملكها العظيم هنري الملاح في مقدمة الرواد الذين مهدوا لغيرهم الطريق . وليس  
هذا مجال الافاضة في ذكر الخدمات التي قام بها هذا الملك الجليل ، والتي كانت بمثابة  
وحي لاعمال الارتياح ولكن اقول باختصار ان فضله يلخص في تمسكه بفكرة عظيمة

بصراره على تنفيذها وفيما جاء بعد ذلك من الحوادث السريعة كارتياح شواطئ افريقية  
وسير السفن حول رأس الرجاء الصالح واكتشاف العالم الجديد وفتح الطريق البحري  
الى الهند وملقا والصين ، تم اكتشاف استراليا قبل مضي قرن على اعمال الاكتشاف  
المتواصلة

واذا كانت هناك بعثات ارسلت الى شاطئ افريقية في القرن الخامس عشر فقد  
كانت هناك بعثات اخرى الى الاتلنتيكي ، لم يدون كثير من اخبارها ، محدو  
اصحابها فكرة احتمال العثور على اراض وجزائر جديدة . وخير ما لدينا من تاريخ هذه  
الرحلات ، الخرائط التي رسمت في ذلك العهد . نعم ليس من السهل فهم كل ما فيها  
ولكن يجد الناظر اليها لذة ومغزى عظيمين

ولم يكن بين جميع الذين سلكوا البحار وقاسوا احوالها اعظم من خريستوفوروس  
كولمبوس وقد كان عمله جرأة عظيمة لا لانه وضع خطة للبحث عن الهند الشرقية  
بالسير الى الغرب فانا اعتقد كل الاعتقاد ان ذلك لم يكن جزءاً من خطته الاصلية بل  
لانه كان ينوي العثور على جزائر وبلدان اخرى . على ان الاعمال التي انجزتها رحلته  
تجعل الفضل يعود اليه في ايجاد الطريق غرباً . ومن الآن نجتاز الحدود وندخل  
في اعجب عهد من توسع المعارف الجغرافية . ولا نستطيع ان اسير الى ابعد من ذلك  
في هذا المقام متبعاً هذا المسلك فالموضوع لا يستغده البحث

واذا كان لا بد لي من ان اشير بكلمة الى توسع العلم بعد ذلك وأتبعه حتى هذا  
الوقت فاني اشير الى سرعة تناقص الاقطار التي لم تكشف بعد والى الحماسة التي يندفع  
بها المكتشف في هذا الزمن الى مغامراته . ولا بد لي من التنويه بالدروس الكثيرة  
في فروع عديدة من هذا العلم وهي الفروع التي اصبحت تعد ذات شأن كبير وفائدة  
عظمى كالجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الانثولوجية والجغرافيا الرياضية والجغرافيا  
التصويرية والجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية والجغرافيا التاريخية والجغرافيا الحيوية .  
وفروع اخرى تدعو الى دروس عميقة

مقتطف ما يو ١٩٢٥

## تقدم علم الجغرافيا

في القرن التاسع عشر (١)

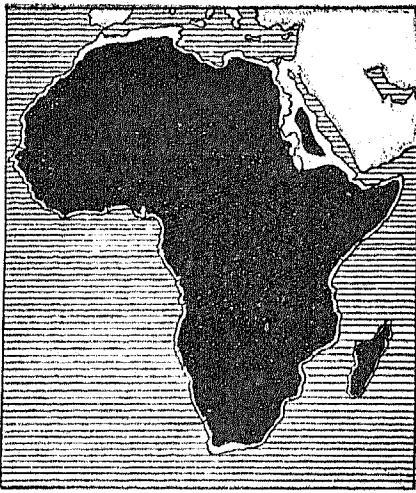
كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط ترسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة فما جاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءاً تقريباً فبقي جزء من احد عشر مجهولاً ( انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة. والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الا في جهة قطبي الأرض الشمالي والجنوبي

والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الأول اشتهر باكتشافاته البحرية والثاني اشتهر باكتشافاته البرية كما يتبين مما يأتي : —  
أفريقية

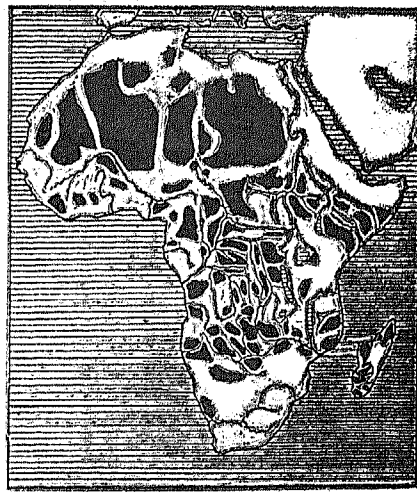
كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من أوروبا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل أوروبا الجنوبي على مسافة الف ميل وما ذلك الا لان رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتغال يشحن باوجهن عنها ويتزاحمن على الاستعمار في أطراف اميركا والهند السحيقة وإنما قصدن افريقية للتجار بالريق فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل فلنستون وساتلي وباكروسبيك ومنجو وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأثاروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لا بد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول أوروبا كل ميل منها الى املاكهن بالطرق السلمية ما عدا المغرب الأقصى والحبشة على حين ان استعمار اميركا والهند كلفهن الوف الرجال وبدرات الأموال

واهم ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الأربعة العظيمة وهي النيجر والزمبيسي والنيل والكنجو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الأحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبشة ( الانبئة ) ثم

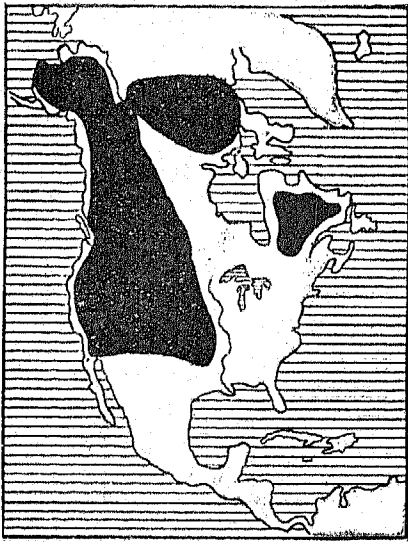
(١) من قلم العلامة جبروت جروفتر



أفريقية سنة ١٨٠٠



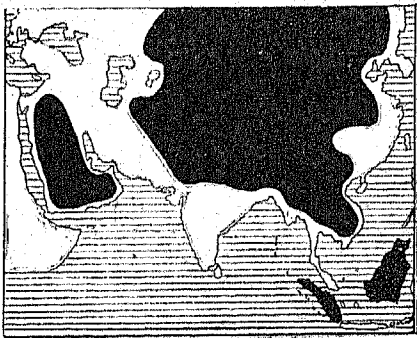
أفريقية سنة ١٩٠٤



اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠



اميركا الشمالية سنة ١٩٠٤



اسيا سنة ١٨٠٠



اسيا سنة ١٩٠٤